الاستخلاف ودوره في التكامل الإنساني دراسة قرآنية

م . م . محمد جاسم نصرالله
المديرية العامة لتربية ديالى
وزارة التربية

الكلمات المفتاحية: الاستخلاف. التكامل الإنساني. القران الكريم

الملخص:

هدف البحث إلى تناول موضوع الاستخلاف الإلهي للإنسان في الأرض حيث أن الاستخلاف كمفهوم عام يدخل فيه كل فرد من أفراد بني آدم شرط أن يكون ملتزما بتعاليم المستخلف (الله ﷻ)، وأكد البحث على أن اختيار الله عز وجل للإنسان دون غيره من المخلوقات الأخرى لمهمة خلافته في الأرض لكونه المخلوق الوحيد القادر على إعمار الأرض وإحياء شعائر الله سبحانه وتعالى فيها في آن واحد، وذلك لأنه يملك عقلا ويملك حرية الإرادة، واعتمد البحث على المنهج الوصفي التحليلي، والمنهج المنطقي الاستنباطي وذلك للتوصل إلى مجموعة من النتائج أهمها: أن الإنسان مخلوق ابتداء ليستخلف في الأرض، وهو مستخلف فيها ليحقق منهج الله تعالى في صورته الواقعية، وهو أثر عظيم يعطي الإنسان مركزا متميزا في نظام الكون كله، ويمنحه قدرة هائلة للعمل والفاعلية والتأثير، وكل ذلك يتم في توازن تام مع الاعتقاد المطلق بالمشيئة الإلهية، وتفردها بالفاعلية الحقيقية في هذا الوجود.

المقدمة:

يعد مبدأ الاستخلاف من المبادئ الأساسية التي طرحها القرآن الكريم في العديد من سوره وآياته؛ لما له من ارتباط وثيق بمبدأ الخلق، والهدف من الوجود في هذا العالم؛ فهو يرتكز بشكل أساس على أصل التوحيد، ويُعرف الإنسان بأمور أساسية وجوهرية؛ تحدد مسار حياته، وتبين له نقطة النهاية التي يجب أن يصل إليها. وقد اقتضت الخلافة الإلهية أن يكون الإنسان مكرما من الله سبحانه، ومتميزاً عن سائر الموجودات بكثير من الخصوصيات الخلقية والاستعدادات التي تؤهله لحمل الأمانة والوصول إلى الكمال والعبودية لله سبحانه

كذلك يشير الاستخلاف إلى الركائز الأساسية التي يتألف منها المجتمع، وهي: المستخَلف المستخِلف، والمستخلف عليه ويبين طبيعة العلاقة القائمة بين الأطراف، داعيا إلى بناء الإنسان الكامل، والسير بالمجتمع البشري نحو الكمال.

ومن هنا كانت الحاجة لدراسة هذا المبدأ بما يحوي من أبعاد عقدية، واجتماعية، وتاريخية وأخلاقية وتربوية تساهم في بناء شخصية إنسانية منفتحة على الله تعالى في جميع قضايا الحياة. وتركز هذه الدراسة على الجانبين التربوي، والاجتماعي بهدف بيان مسؤولية الإنسان تجاه ذاته، ومجتمعه، وتحديد دوره ووظيفته في الحياة؛ إذ إن عبادة الله وطاعته لا تنفك عن الموقع الاستخلافي للإنسان في الوجود، وبذلك يكون مصداقا واقعيا وحقيقيا لخليفة الله وحامل أمانته. ويعني الاستخلاف الإلهي للإنسان في الأرض، فيما يعنيه، وجوب توجه الإنسان (المستخلف) إلى عبادة الله سبحانه وتعالى، وإعمار الأرض، وبناء حضارتها على أسس من التشريع الإلهي، إذ ليس للإنسان إلا العمل وفق تعاليم الله عز وجل، والاستخلاف الإلهي بدأ منذ أن درج سيدنا آدم - عليه السلام . على وجه الأرض، وقد أكدت الأديان السماوية الإلهية جميعاً عليه؛ لأنه صادر عن الله الواحد الأحد؛ ولأن الأنبياء والرسل عليهم السلام) -بغض النظر عن الأمم التي أرسلوا إليها والحقب الزمانية المتعاقبة التي بعثوا خلالها -إنما بعثوا بالإسلام، ذلك أن الدين أساسه وجوهره عند الله تعالى الإسلام لقوله تعالى (وإِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ). (سورة آل عمران، الآية 19.).

إشكالية البحث :

لما كان الإنسان خليفة الله سبحانه في أرضه وجب عليه أن يكون أمينا في تنفيذ أوامر المستخلف (الله تعالى) إذ أن التقدم الحضاري متوقف على مدى التزام الإنسان بالتشريع الإلهي، ومدى تطبيقه للقواعد العلمية والسلوكية الخاصة بموضوع الاستخلاف الإلهي له، ومن استشعر الباحث مشكلة البحث الرئيسية بعد تتبع الحوث والدراسات القرآنية الخاصة بالكشف عن طبيعة الإعجاز العلمي للقرآن الكريم وأسراره في طبيعة الاستخلاف وأثر ذلك على التكامل الإنساني، حيث تبين له أن هذه الدراسات لم تلم بأسرار الاستخلاف الإلهي وطبيعته بطريقة استقرائية واستكشافية للعلاقات الاستخلافية للإنسان في الأرض، وبناء عليه تنطلق إشكالية بحثنا في التساؤلات التالية:

1- ما هي الأطر العامة للاستخلاف؟
2- ما هي مناهج الاستخلاف الإلهي في القرآن؟
3- ما هي الأبعاد التربوية لوظائف المستخلف ومسؤولياته؟

أهداف البحث :

يسعى البحث إلى تحقيق مجموعة من الأهداف وهي:

1- الكشف عن علاقة الإنسان بربه الواحد الأحد، والغاية من وجوده في هذه الحياة الدنيا، والحكمة من استخلافه في الأرض.
2- تسليط الضوء على علاقة الإنسان بأخيه، وبالمجتمع والدولة، والكيانات الدولية، ويتجلى ذلك في جملة من المبادىء منها: صلة الرحم، ومساعدة الضعفاء، والتسامح، والتأخي، وغير ذلك.

3- توضيح علاقة الإنسان الفرد بالدولة التي يعيش فيها، ويتجلى هذا المعنى في علاقة المجتمع الإسلامي بالمجتمعات الإنسانية في حالتي السلم والحرب.

أهمية البحث :

1- من لوازم العقيدة البحث في موضوع استخلاف الإنسان في الأرض.

2- في هذا العصر مع العولمة واختلاط الثقافات والعادات المخالفة للشريعة الإسلامية كان لا بد من إثارة موضوع استخلاف الإنسان في الأرض، والحديث عن شروطه وأسبابه وموانعه.

3- له تأثير على فئة الشباب الحائر من أجل تحقيق القاعدة الإيمانية، وتأثيرها على شباب الصحوة الإسلامية لتوجيهها الوجهة الصحيحة.

4- يأمل الباحث أن يسد البحث ثغرة في المعرفة العلمية في المكتبة الإسلامية والمعرفية عموما.

منهجية البحث :

يعتمد المنهج الأساس في البحث على الدراسة الموضوعية في قراءة الأفكار وتحليلها؛ تمهيدا لصياغتها ومعالجتها وفق رؤية تأصيلية دينية، بما ينسجم مع فكرة الاستخلاف القرآنية المنشأ، وعدم تغييب ما له صلة بالإنسان لناحية البنية المعرفية والفكرية والتربوية، الذي يؤهله ليكون الخليفة ذا الرؤية الشمولية لفلسفة وجوده في الحياة. وعلى هذا الأساس يمكن الاعتماد على منهجين رئيسين، هما:

- المنهج الوصفي التحليلي للكشف عن أسس النظريات المطروحة في الاستخلاف واستعراض النصوص القرآنية والمحطات التاريخية التي تضمنت نماذج للاستخلاف في الأرض.
- المنهج المنطقي الاستنباطي القائم على أساس التحليل المنطقي والبرهان العقلي والترابط العلمي لبيان خصائص الاستخلاف الإلهي وأهدافه، ولا سيما التربوية منها، التي تصب في مسيرة التكامل الإنساني.

المبحث الأول: الأطر العامة لمفهوم الاستخلاف:

تكررت كلمة الاستخلاف في القرآن الكريم على أن الإنسان هو الخليفة، فعلاقته بالاستخلاف وطيدة، واختلف في مفهوم الاستخلاف، لذلك فإن بيان معنى كلمة الاستخلاف مدخل أساسي لإظهار الارتباط الوثيق بينهما.

المطلب الأول: مفهوم الاستخلاف ونظرياته:

إن الاستخلاف لغة: مأخوذة من جذر خَلَف، وقد عبر اللغويون عن هذا المفهوم بألفاظ متعددة منها الخليفة، والخلافة والخَلَف، وكلها تدل على معنى واحد هو النيابة عن الغير والحلول محله عند غيبته أو موتع أو عجزه، فيقال: خَلَّفت فلانا أخلفه تخليفا واستخلفته أي جعلته خليفتي. (الأزهري ، 2001 : 1091) واستخلف فلان فلاناً أي جعله خليفته. (الفارابي ، 2005 : 1121).

وفي معجم متن اللغة: الخَلَف مصدر ما استبدلت به من شيء ما استخلفت من شيء، (رضا ، 1958 : 322) وقد ورد في لسان العرب أن الخليفة هو الذي يستخلف ممن قبله والجمع خلائف. (الأنصاري ، 1992 : 183)

إذن فالاستخلاف مفهوم قرآني ورد في الآيات الكريمة لبيان مقام الإنسان، وموقعه في عالم الوجود، فقال تعالى: (إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خليفة). (سورة البقرة، الآية 30) وقد عبر الفلاسفة - أمثال السيد الطباطبائي، وصدر الدين الشيرازي عن الخلافة بأنها النيابة عن الغير، والقيام مقامه في جميع شؤونه الوجودية وآثاره وأحكامه، ولا تتم هذه الخلافة إلا أن يكون الخليفة حاكيا لمستخلفه في جميع صفاته وأسمائه. (الطباطبائي ، 1997 : 116).

ويذكر الطباطبائي في تفسير الآية التي تشير إلى كون الناس خلائف في الأرض (سورة فاطر، الآية (٣٩) أن معنى ذلك قيام كل لاحق مقام سابقه، وسلطته على التصرف والانتفاع مما كان غيره مسلطا عليه، وقد نال الناس هذه الخلافة من جهة نوع الخلقة وذلك عن طريق التناسل،(الطباطبائي ، 1997 : 52) ويتضح من كلام العلمين أن المستخلف يقوم مقام المستخلف بنحو الحكاية والمرآتية والتجلي لجميع صفاته وكمالاته الوجودية.

وقد ذكر في معجم المصطلحات المعنى الخاص للخلافة؛ وهو الإمامة وقيل إنها قسمان خلافة صغرى؛ وهي الإمامة الظاهرية، وخلافة كبرى؛ وهي الإمامة الباطنية (الحفني ، 1987 : 91) ، ويلاحظ أن الشيرازي اكتفى بذكر المعنى اللغوي، فأورد في تفسيره، أن الخليفة هو النائب عن الغير، (الشيرازي ، 1992 : 137) أما أبو الحسن الرماني، فقد اعتبر أن الخليفة من قولهم خلف فلان فلاناً في الأمر؛ أي قام مقامه فيه بعده (الرماني ، 2009 : 23).

وبما أن الاستخلاف مفهوم قرآني ورد في العديد من الآيات ليبين للإنسان موقعه ودوره في عالم الوجود، فلا بد من تتبع الآيات الكريمة التي تعرضت للحديث عنه؛ وبينت دوره المهم والأساس في توجيه حركة الإنسان نحو الكمال، والآيات التي أشارت إلى المفهوم يمكن تصنيفها إلى ثلاث طوائف هي:

1- الطائفة الأولى (الخلافة الإلهية للإنسان):

قال تعالى: (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ) (سورة البقرة، الآية 30).

وقال تعالى: (يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ) (سورة ص، الآية 26).

2- الطائفة الثانية (خلافة الناس فيما بينهم):

قال تعالى: (وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ). (سورة الأنعام، الآية 165).

وقال تعالى: (وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ). (سورة النور، الآية 55).

وقال تعالى أيضاً: (أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاء مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً فَاذْكُرُوا آلاء اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ). (سورة الأعراف، الآية 69).

1- الطائفة الثالثة (تعاقب الأمور الكونية):

قال تعالى: (وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا). (سورة الفرقان، الآية 62).

خلاصة ما تقدم أن الاستخلاف والاستبدال والتعاقب وغيرها من المفردات التي وردت في الآيات، تشير إلى معنى واحد، هو حلول شيء مكان شيء آخر. وهذا الأمر واضح في المحسوسات كاختلاف الليل والنهار، أما في الأمور الاعتبارية فاختلاف الزمان مطلوب، ولا معنى لوحدة المكان؛ فإذا تمتع شخص ما بمقام اعتباري، فيمكنه أن يُخلف شخصا آخر مكانه عند غيبته، لكن في الأمور الحقيقية المعنوية - كما بالنسبة لمقام الله سبحانه فالأمر مختلف تماما، ولا يمكن اعتبار الزمان أيضاً؛ لأن الخلافة هنا تكون مع بقاء المالك الحقيقي لهذا الكون.

كما يذكر العلماء نظريتين أساسيتين للخلافة الإلهية:

النظرية الأولى: خلافة نوع من الموجودات الأرضية:

ذكرها الفخر الرازي في تفسيره، نقلا عن ابن عباس، لكنه لم يتبناها، ومفادها أن الخلافة المذكورة هي خلافة نوع من الموجودات - الجن وغيرها كانت تعيش قبل الإنسان وانقرضت فاستخلفه الله تعالى مكانها.

استندت هذه النظرية إلى مجموعة من الأحاديث التي تشير إلى أن هناك موجودات عاشت على الأرض، فأفسدت وسفكت الدماء، وأن الملائكة سألوا قياسا لذلك، عندما قالوا: (أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدماء)؛ لأنهم شاهدوا تلك الموجودات السابقة، فظنوا أن الأمر نفسه سيحصل مع الإنسان إذا استخلف على الأرض. وبناء عليه، فإن الله تعالى عندما نفى الجن من الأرض، وخلق آدم، وأسكنه فيها، صار آدم خليفة لأولئك الذين سبقوه وليس خليفة الله عز وجل. (الرازي ، 1997 : 389).

لكن بعض العلماء رفضوا هذه النظرية؛ إذ إن سياق الآية برأيهم - يوحي بأن استفسار الملائكة لم يكن انطلاقا من إفساد الإنسان في الأرض، وسفكه للدماء فقط، بل باعتبار أنفسهم مؤهلين

لنيل هذا المقام الذي حظي به؛ فهم كانوا في حالة تسبيح وتقديس دائمين الله تعالى، كما يتضح من ذيل الآية (وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ(. (فضل الله ، 1992 : 277)

النظرية الثانية (الخلافة عن الله تعالى) :

اختارها كبار الفلاسفة والمفسرين كالفخر الرازي، والألوسي، وصدر المتألهين الشيرازي والعلامة الطباطبائي وغيرهم؛ حيث اعتبروا أن الخلافة المذكورة في الآيات هي عن الله تعالى، وقد نالها الإنسان المتمثل بآدم عليه السلام، بعد أن تحمل الأمانة العظيمة التي عرضت عليه فكان أشرف المخلوقات وأكرمها، واستحق بهذا المقام أن تسجد له الملائكة، وتدين له الكائنات بالطاعة والخضوع: (هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا). (سورة البقرة ' الآية 29)

ويدل على هذا القول سياق الآيات التي تتحدث عن استخلاف آدم عليه السلام، والتي توحي أن الخلافة المذكورة هي عن الله سبحانه، وليس عن موجودات كانت تعيش على الأرض؛ فالله تعالى نسب جعل الخلافة والإمامة في الآيات لنفسه؛ فقال عند استخلاف آدم عليه السلام: (إني جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَة)(سورة البقرة الآية 30) ، وفي خلافة داود عليه السلام: (إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ)(سورة ص الآية 26) ، وعند خطاب إبراهيم عليه السلام: (إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا)(سورة البقرة الآية 124) ، فالإمامة والخلافة من مجعولات الحق سبحانه، لذلك جاء التعبير في الموارد الثلاثة بـ (إني جاعل).

المطلب الثاني: طبيعة الخلافة وعناصرها:

بعدما تبين أن الخلافة التي استحقها الإنسان، هي عن الله عز وجل في الأرض، تعددت الآراء حول طبيعتها وحدودها، تكتفي هنا بذكر ثلاثة منها:

1- الخلافة الله تعالى في الحكم والفصل بين الخلق عند الاختلاف والنزاع، وهذا الأمر اختص الله تعالى به الأنبياء والأولياء، حيث قال سبحانه: (يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ(. (سورة ص الآية 26)

وفي مورد آخر: (إنا أنزلنا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ بِمَا اسْتَحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاء(. (سورة المائدة الآية 44)

من هنا يمكن الربط بين مقام الخلافة، ومقام الشهادة الذي تحدث عنه القرآن الكريم؛ والذي يمثل التدخل الرباني من أجل هداية الإنسان الخليفة، وحمايته من الانحراف والفساد. ولعل وجود هذا النوع من الاستخلاف يفسر استحقاق الإنسان للخلافة من جهة، ويعالج المخاوف التي أثارها الملائكة من جهة أخرى، فهم لاحظوا خط الخلافة بصورة منفصلة عن الخط المكمل له؛ وهو خط الشهادة الذي يضمن عدم انحراف الأمة.

2- الخلافة الله تعالى في عمارة الأرض واستثمارها، ولعل أكثر موارد استعمال: خلائف خلفاء.... أريد منه هذا النوع من الاستخلاف، كما ورد في قوله تعالى: (وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاء مِن بَعْدِ

عَادٍ وَبَوَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آلاء اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ). (سورة الأعراف الآية 74)

ويذكر الشهيد الصدر أن الإنسان مستخلف على كل الأشياء في الكون، وليس على الأرض فحسب؛ ومن هنا كانت الخلافة في القرآن الكريم أساسا للحكم (محمد باقر الصدر ص 152)

3- الخلافة الله سبحانه في العلم بالأسماء، وهو المعيار الذي استحق به الإنسان الخلافة حيث قال سبحانه: (وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَة). (سورة البقرة الآية 31) تشير الآيات القرآنية التي تتحدث عن خلق الإنسان، واستخلافه على الأرض إلى الركائز الأساسية التي يتألف منها المجتمع، والتي تلتزم بها جميع النظريات الاجتماعية. وهذه العناصر يمكن استفادتها من الآية الكريمة في قوله تعالى: (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأرض خليفة) (سورة البقرة الآية 30) ، حيث يلاحظ فيها أن الله تعالى هو الجاعل للخلافة، وهو أيضا المستخلف عنه، أما العناصر فهي:

1- الإنسان: وهو المحور الأساس في المجتمع؛ لأنه خلق للقيام بدور اجتماعي يستطيع من خلاله أن يحقق الطاعة والعبودية الله تعالى.

2- الأرض وهي مركز تنفيذ الخلافة، وتبليغ الرسالات السماوية الهادفة إلى هداية الإنسان ومنعه من الانحراف.

3- العلاقة المعنوية (أو الاجتماعية التي تتضمن علاقتين مزدوجتين:

العلاقة الأولى: علاقة الإنسان مع الطبيعة أو الأرض

العلاقة مع الثانية : علاقة الإنسان أخيه

أما الأولى، فتقوم في جوهرها على أساس الاستثمان وليس السيادة والمالكية. وأما الثانية فهي عبارة عن علاقة استخلاف وتفاعل بين الإنسان وأخيه بقدر ما يكون كل منهما مؤديا لواجب الخلافة. ولم يكتف القرآن الكريم بذكر العناصر الأساسية للمجتمع، إنما تحدث عنها بتفصيل وافر في العديد من الآيات؛ وذلك بهدف إقامة مجتمع إنساني سليم، على أساس هذه النظرية. وهذه العناصر هي الركائز لكل مجتمع سواء كان إلهيا أو ماديا.

1- الله (العنصر المقوم): إن الفرق الجوهري بين النظرية القرآنية، والنظرية المادية – بحسب تصور الشهيد الصدر هو في وجود طرف رابع خارج إطار المجتمع، لكنه يعتبر عنصرا مقوما لعملية الاستخلاف، وله تأثير نوعي على مضمون العلاقة التي تربط الإنسان بالطبيعة وبالإنسان الآخر، وهذا العنصر هو المستخلف، وهو الله تعالى.

(محمدالباقر الصدر ط2، 1424 ص 108)

وبذلك يصبح الدين سنة من سنن التاريخ الذي يتحكم بمسار حركة الإنسان والتاريخ، وهذا الدين هو دين الفطرة: (فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ الله التي فَطَرَ النَّاسِ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ الله ذلك الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُون) (سورة الروم الآية 30) ، الذي يُشعر

الإنسان بالاستخلاف والاستثمان ويوجهه نحو العلاقة الاجتماعية الإلهية، مقابل العلاقة المادية التي يحكمها الهوى والطغيان (الحكيم ط1 ،2004، ص 103)

خلاصة القول: إن الصيغة الاجتماعية الرباعية التي صاغها القرآن الكريم تحت اسم الاستخلاف تبين أن أطراف العلاقة في المجتمع الإنساني أربعة هي: المستخلف وهو الله تعالى، الخليفة وهو الإنسان، الإنسان الآخر، والطبيعة.

المبحث الثاني: الاستخلاف منهج تربوي

مما لا شك فيه أن التربية حاجة فطرية للإنسان، وضرورة من ضروريات حياته؛ بها يكسب مقوماته النفسية والاجتماعية، ويحقق تمايزه عن سائر المخلوقات. وهو منذ لحظة وجوده في هذا العالم، وحتى خروجه منه يخضع لعملية تربوية تستوعب كافة أبعاده الوجودية الروحية والجسدية، والإيمانية والعقلية، والاجتماعية

المطلب الأول: منهج الاستخلاف الإلهي في القرآن:

يلاحظ عند قراءة القرآن الكريم اهتمام المولى سبحانه بذكر أخبار السابقين، وسرد قصصهم، ودعوة المجتمعات البشرية إلى التعرف على ما وقع في الأمم السالفة، من تجارب ناجحة كانت أو فاشلة؛ لتكون هدى للمتقين، وموعظة وعبرة للكافرين والمنافقين، حيث قال سبحانه: (فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) (سورة الأعراف الآية 176)، وفي آية أخرى: (لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عبرة لأولي الألباب). (سورة يوسف الآية 111)

ومن أروع الأساليب التي اتبعها القرآن الكريم مع الإنسان لتطبيق المنهج الإلهي، وتحقيق الخلافة على الأرض، تتجلى في تعرضه للحديث عن تجربتين أساسيتين للاستخلاف، إحداهما فاشلة، وهي تجربة بني إسرائيل، والأخرى ناجحة وهي تجربة نبي الله إبراهيم عليه السلام. وقد جاء ذكرهما في سورة البقرة، وهي أول سور المصحف المبارك ترتيبا، وأول ما نزل على رسول الله محمد ﷺ في المدينة مع بداية تأسيس الدولة الإسلامية، وقد سبق هاتين التجربتين تجربة تمهيدية، تمثلت باستخلاف آدم عليه السلام وهبوطه إلى الأرض.

أولا: استخلاف آدم عليه السلام: كان استخلاف آدم أولى التجارب التي تحدث عنها القرآن الكريم في سورة البقرة، عندما أخبر الملائكة بقرار إنشاء مجتمع على الأرض، واستخلاف الإنسان فيه، حيث قال تعالى: (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً) (سورة البقرة الآية 30) ، واللطيف أنه سبحانه أتبع هذه الآية بالحديث عن تعليم آدم عليه السلام الأسماء، ليضفي على الشخصية الأدمية قدرا أكبر من التقدير والتفصيل: (وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ) (سورة البقرة الآية 31) ، واللافت أن الله عزّ وجل جعل العلم مدار الحوار، والسبب الرئيس الاستخلاف الإنسان وتفضيله على الملائكة

وهذا الأمر إن دل على شيء، فإنما يدل على أهمية العلم، وضرورته في حياة الخليفة. وكأن هناك توجيها للإنسان بأنه إذا أراد أن يتحمل مسؤولية الخلافة فلا بد له من العلم، إضافة إلى العبادة

والطاعة الله عز وجل التي أشارت إليها الآيات الأولى من السورة المباركة (ذلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ) (سورة البقرة الآية 2) ، فتجربة النبي آدم عليه السلام هي تجربة تعليمية تربوية للبشرية؛ للتعرف على المسؤولية الملقاة على عاتقهم.

من هنا اعتمدت الدعوة الإسلامية لإصلاح نظام البشر على ركيزتين أساسيتين هما: العقيدة الدينية،والعلم الذي اعتبر فريضة على كل مسلم ومسلمة ، فالنبي محمد ﷺ الذي اختاره الله سبحانه، أراد بدعوته إيجاد تغيير جذري في المجتمع لتصبح الأمة الإسلامية خير أمة أخرجت للناس، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر. وهذا إنما يتحقق من خلال العلم الذي أكد عليه نبي الهدى محمد ﷺ، وأوجبه على كل مؤمن ومؤمنة؛ لأنه يرفع شأن الإنسان، ويجعله مستحقا للتكريم الإلهي، ونيل مقام الخلافة

وقد اتجه الإسلام إلى توظيف العلم لخدمة الإنسان من أجل اكتشاف أسرار الكون والانتفاع بما سخره الله سبحانه له. فميزة العلم أنه يقرب الإنسان إلى الله، ويقوي إيمانه به، ويساعده على القيام بمهمة الاستخلاف التي شرفه بها الباري عز وجل.

وتكمل الآيات قصة آدم عليه السلام، لتحدثنا عن سكنه وحواء في الجنة، ونهيهما عن الاقتراب من الشجرة، ثم إغواء الشيطان لهما، وإخراجهما منها: (وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ* فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فيه) (سورة البقرة 35ـ36) ، فتشير إلى أن النعمة تزول بمعصية الله تعالى. وتختتم قصة آدم بآية في غاية الأهمية، تتحدث عن سكن آدم وزوجه في الأرض، كتجربة جديدة جعلها الله مستقراً لهما، ولذريتهما إلى يوم القيامة، والتي يترتب على أساسها الثواب والعقاب، فمن اتبع هدى الله، ومنهجه القويم ينجح في هذه التجربة، أما من كفر فجزاؤه جهنم خالدا فيها، كما قال الله تعالى: (قُلْنَا اهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ* الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ). (سورة البقرة 38ـ39)

وخلاصة القول إن هذه التجربة تبين للإنسان المسلم الذي يسعى لتحقيق مهمة الاستخلاف، مجموعة من الأمور الهامة التي توضح معالم الخلافة، هي:

- إن الله تعالى قد زود الإنسان بطاقة علمية تنير له معالم الخلافة.
- إن عدم الانتفاع بالعلم، ومعصية الله تعالى تؤدي إلى زوال النعمة.
- إن الله تعالى لم يترك الإنسان وحيدا على الأرض، إنما أعطاه المنهج الواضح والهدى هو عبادة الله تعالى كما يريد واتباع رسله.

- إن الصراع الذي تعرض له أدم على السلام وزوجته مع إبليس في الجنة سوف تتعرض له البشرية على الأرض، لكن هدى الله كفيل بإنارة الطريق وإزالة الحواجز والموانع التي تعترض تكامل الإنسان.

ثانيا: النموذج السيء لاستخلاف بني إسرائيل: تتعرض الآيات القرآنية للحديث عن تجربة بني إسرائيل، الذين استخلفوا في الأرض فأفسدوا فيها، ومثلوا نموذج الكفر، والعصيان والتمرد، ونقض الميثاق، والعداوة لمنهج الله - عز وجل، رغم تفضيلهم على العالمين، واختصاصهم بالرسالة، ومدهم بالعديد من النعم، حيث قال تعالى: (يا بني إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ).(سورة البقرة الآية 47) ونلاحظ أن الآيات الأولى في القصة كانت توجيهية، بمعنى أنها تبين لبني إسرائيل المنهج الإلهي ليقوموا بتطبيقه، ويلتزموا بما يريده الله سبحانه، وقد جاءت الإرشادات على الشكل الآتي:

- ضرورة الوفاء بالعهد والقيام بمنهج الله تعالى: (يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ). (سورة البقرة الآية 40)
- الإيمان برسالات الله (وَآمِنُوا بِمَا أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ). (سورة البقرة الآية 41) عدم كتمان الحق وتغطيته بالباطل: (وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ). سورة البقرة الآية 42)
- الدعوة إلى أداء التكاليف العبادية: (وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ). (سورة البقرة الآية43)
- مطابقة القول للفعل: (أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ). (سورة البقرة الآية 44)
- الاستعانة بالله تعالى في الشدائد: (وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ* الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُلَاقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ). سورة البقرة الآية 45-46
- ذكر نعم الله تعالى: (يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ). (سورة البقرة الآية 47)
- تقوى الله: (وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ(. (سورة البقرة الآية 48)

بعد توجيه بني إسرائيل، وإرشادهم إلى كيفية تحمل المسؤولية، وخوض تجربة الخلافة تتحدث الآيات عن النعم التي أنزلها الله تعالى عليهم، ومنها نجاتهم من آل فرعون بفرق البحر، وغرق فرعون وجنوده والعفو عنهم ومن ثم إنزال التوراة على النبي موسى عليه السلام ليهتدوا بها، ويفرقوا بين الحق والباطل وجاء ذلك في قوله تعالى: (وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءكُمْ وَفِي ذَلِكُم بَلاء من رَبِّكُمْ عَظِيمٌ). (سورة البقرة الآية 49)

لكن بني إسرائيل لم ينجحوا في تحمل مسؤولية الخلافة، رغم كل النعم التي أنزلها الله عليهم، وقاموا بارتكاب العديد من الأخطاء، منها: تجرؤهم بطلب رؤية الله تعالى جهرة، عدم طاعة الرسل، عدم الإيمان بالغيب، وغيرها. قال تعالى: (وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ) (سورة البقرة الآية 55) ، وفي سياق عرض أخطاء بني إسرائيل جاءت قصة البقرة؛ لتكشف عن استكبار هؤلاء القوم، وتمردهم، وتشكيكهم في صدق ما أمر به نبي الله موسى عليه السلام، وقد بدأت القصة من الأمر الإلهي بذبح البقرة: (وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ) (سورة البقرة الآية 67) ؛ لأنها أرادت لفت النظر إلى موضوع الذبح تحديدا، الذي استتبع بظاهرة الإحياء، وهذه سمة فنية تبين طريقة البناء الهندسي للقصة. (البستاني 1408 ص 33)

والقصة القرآنية تتحدث عن مقتل رجل، لم يعرف بنوا إسرائيل قاتله، فما كان منهم إلا أن يسألوا نبي الله موسى عليه السلام عن ذلك؛ ليسأل ربه، وقد أوحى الله سبحانه إلى نبيه أن يأمرهم بذبح بقرة لها صفات معينة، ويضربوا الميت بجزء منها، فيحيا بإذن الله، ويدل على قاتله، وهذا دليل مادي لبني إسرائيل وغيرهم على قدرة الله عز وجل في إحياء الموتى. واللافت في الآيات الكريمة وصف البقرة تفصيلا، لونها، سنها، هيكلها (قالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانَ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ* قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاء فَاقِعٌ لونُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ). (سورة البقرة الآية68 ـ 69)

هذه الآيات تظهر تعنت بني إسرائيل، وتشديدهم وإصرارهم على الاستيضاح والاستفهام، الذي يلزم منه نسبة الإبهام إلى الأوامر الإلهية، وبيانات الأنبياء، إضافة إلى استخفافهم الظاهر بمقام الربوبية، فموسى عليه السلام يقول لهم: (إن الله يأمركم)، وهم يقولون له: (ادعو لنا ربك)، فقد أتوا في جميع الآيات بلفظ (ربك)، دون أن يقولوا (ربنا) . (الطباطبائي ج 1 ص 199)

ثالثا: النموذج الأنجح للاستخلاف (إبراهيم عليه السلام): في سياق عرض تجارب الأمم السابقة، بوصفها أسلوبا تعليميا تربويا للأمة الإسلامية تحدثنا الآيات القرآنية عن تجربة نموذجية للاستخلاف، هي تجربة نبي الله إبراهيم. هذا النبي الكريم الذي ابتلي بكلمات، فلما أتمهن جعله الله إماما للناس، حيث قال تعالى: (وإذ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ). (سورة البقرة الآية 124)

إبراهيم عليه السلام شخصية عظيمة، ورد ذكرها في ما يقارب الخمس والعشرين سورة من القرآن الكريم، وقد جاء اسمه الشريف في تسعا وستين موضعا منه وصفه القرآن الكريم بأنه عليه السلام: (من الْمُحْسِنِينَ)، ومن (الصَّالِحِينَ)، ومن القانتين، في قوله تعالى: (إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قانتا الله حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) (سورة النحل الآية 120) ، ومن الصديقين، في قوله تعالى: (وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نبيًّا) (سورة مريم الآية 41)، ومن شديدي

الخوف والرجاء لربهم: (إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لأواهٌ حَلِيمٌ) (سورة التوبة الآية 114)، ومن الموفين بعهدهم في قوله تعالى: (وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى)(سورة النجم الآية 37) . حتى وصل بصفاته الكمالية إلى رؤية ملكوت السماوات والأرض؛ حيث قال سبحانه: (وكذلك نري إِبْرَاهِيمَ مَلَكُونَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ) . (سورة الأنعام الآية 75) وهنا نلاحظ صفة أخرى، أفاضها الله تعالى على نبيه بعد رؤية ملكوته العظيم، وهي صفة اليقين؛ هذه الصفة التي مكنته من تحدي جميع الصعوبات، إن في صراعه المرير مع جبابرة عصره، أو في صموده أمام الحوادث والاختبارات التي ابتلي بها، فخرج منها منتصرا، ومجسدا النموذج الأعلى للسائرين على طريق التوحيد.

وقد نال إبراهيم عليه السلام هذه المرتبة الرفيعة - الخلافة الحقيقية - دون الظالمين من ذريته؛ لأنهم لم يلتزموا بالمنهج الإلهي، هذه الوقائع المتفرقة، التي ذكرت في مواضع متعددة من القرآن الكريم، تسلسلت لتؤلف قصة تاريخية تحكي عن سير عبودي إلى الله، يسير فيه العبد من موطن نفسه إلى قرب ربه وذلك بالإعراض عن زخارف الدنيا وملاذها، والتوجه إلى الله تعالى (الطباطبائي ص 293) ، فقد تميز النبي إبراهيم عليه السلام بصفات سامية، وأخلص الله تعالى في جميع شؤونه، ونجح في الابتلاءات كافة، فأراه الله ملكوت السموات والأرض، واصطفاه للرسالة، فعاش همها بكل كيانه، ووصى بها بنيه من بعده، وخاض بذلك تجربة عظيمة، اعتبرت من أنجح التجارب؛ لما اختزنت في طياتها من دروس وعبر تثري تجربة الإنسان، وتضيء له طريق سيره إلى الله تعالى. وهذا ما أشارت إليه الآيات الكريمة في سورة البقرة: (وَمَن يَرْغَبُ عَن مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ * إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ * وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ)(سورة البقرة الآية 130 ـ 132)

فالمقام الذي وصل إليه إبراهيم عليه السلام من الإمامة والقدوة للناس، جعل الإعراض عن ملته من حماقة النفس، وعدم تمييزها ما ينفعها مما يضرها. واللطيف في الخطاب القرآني الالتفات من التكلم إلى الغيبة في قوله: (إذ قال له ربه أسلم).

خلاصة القول، إن القرآن الكريم تعرض في سورة البقرة لذكر ثلاث تجارب للاستخلاف في الأرض، تضمنت اختبار نماذج مختلفة من الناس في طاعة الله - عز وجل - ؛ فاختبار آدم عليه السلام كان في عدم الأكل من الشجرة، واختبار بني إسرائيل كان في طاعتهم للأوامر الإلهية من خلال رسوله، واختبار إبراهيم عليه السلام الأبرز تمثل بذبح ابنه إسماعيل عليه السلام وعلينا نحن أن نتعلم من هذه التجارب فنستشعر الأخطاء التي ارتكبتها الأمم السابقة لنبتعد عنها، ونحذو حذو الأمم التي نجحت في مهمة الاستخلاف، وعلى رأسهم نبينا إبراهيم عليه السلام الذي أخلص الله عز وجل، وجسد أعلى مراتب التوحيد، فنال المقامات الثلاثة النبوة، الرسالة، الإمامة.

المطلب الثاني: أهداف التربوية للاستخلاف:

إن الحكمة الإلهية تقتضي أن يكون للاستخلاف كونه مبدا تربويا مجموعة من الأهداف والغايات التي لها ارتباط بالجانبين التربوي والاجتماعي في حياة الإنسان، منها:

أولا: حاكمية السنن الإلهية: أشرنا فيما تقدم إلى أن الهدف من خلق الإنسان هو تحقيق التكامل والوصول إلى أعلى مراتب العبودية، والقرب من الله تعالى، وذلك بواسطة أفعاله الاختيارية؛ وأن الله سبحانه سننا مطلقة، وأخرى مقيدة ومشروطة، تقرب الإنسان من الهدف وتوفر له وسائل تحقيقه.

1- السنن المطلقة

من أهم السنن المطلقة التي ذكرها القرآن الكريم سنتان أساسيتان هما: سنة الهداية بواسطة الأنبياء، وسنة الابتلاء والامتحان:

سنة الهداية بواسطة الأنبياء: وهي السنن الاجتماعية المطلقة، لأن القرآن الكريم قد أشار إلى أن الأنبياء، والرسل قد بعثوا إلى المجتمعات لهدايتها وإرشادها، وأن إرسالهم لم يكن مشروطا بأفعال الناس وسلوكهم (اليزدي ط1 1996ص497)، لذا قال سبحانه: (وإن مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ)(سورة النحل الآية 36) ، فسنة الهداية تقتضي أن يبعث الله تعالى الحكيم، في كل أمة من الأمم رسولا، لتربية الإنسانية، وإخراجها من الظلمات إلى النور من خلال إيقاظ الفطرة، ودعوة الناس إلى التوحيد، وإقامة العدل، وتشريع القوانين الإلهية التي تضمن تحقيق الحياة المثلى.

وقد جاء الاستخلاف الإلهي للإنسان ليبعث النور في حياته، وذلك من خلال الأنبياء، والرسل، والأئمة الصالحين الذين أوكل إليهم مهام الهداية والرعاية من قبل الله تعالى على الأرض. (فرح موسى ط1 1996 ص 59)

سنة الابتلاء والامتحان: وهي سنة مطلقة، تجري في الشؤون الفردية والاجتماعية، ويمكن عدها أحيانا فرعا من سنة الهداية بواسطة الأنبياء؛ لأن الله تعالى يبتلي الناس بالشدائد بصورة مقارنة، ومعاصرة الإرسال الأنبياء؛ بهدف إعدادهم نفسيا لقبول الدعوة الإلهية، والاستجابة لها (اليزدي ص 499): (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاء وَالضَّرَّاء لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ) . وقال سبحانه في سورة الأعراف: (وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ من نبي إلا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالبَأْسَاء وَالضَّرَّاء لَعَلَّهُمْ يَضُرَّعُونَ)(سورة الاعراف الآية 94) ، أما ميادين الابتلاء فتشمل الأمور التي يدرجها القرآن الكريم تحت اسم الخير أو الحسنات، والأمور التي يدرجها تحت اسم الشر أو السيئات.

فمن الأولى، الابتلاء بالأمور المادية والدنيوية كالثروة، والجاه، وكثرة الأبناء، كما في قوله تعالى: (فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُ قَالَ هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي، لَتَبْلَونَ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ، وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ)(سورة النحل الآية 40)

السنن المقيدة أو المشروطة: وهي عبارة عن مجموعة من السنن التي تكون معلولة، ومقيدة بأفعال الناس وسلوكهم. وأعم هذه السنن وأشملها سنة الإمداد؛ بمعنى أن الله سبحانه يعين

الذين يطلبون الآخرة والكمالات المعنوية، ويمد الذين يطلبون الدنيا، والكمالات المادية فهي سنة جارية على جميع الناس سواء أكانوا من أهل الحق، أم من أهل الباطل، وقد عدت من السنن المشروطة لكونها مسبوقة بسلوك الفرد؛ فالإمداد الإلهي يأتي بعد اختيار الإنسان في الطريق التي يسعى إليها(اليزدي ص 504) ومن الآيات الدالة على هذه السنة، قوله تعالى: (مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ)(سورة الشورى الآية 20) ، (مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ* أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ)(سورة هود الآية 15 ، 16)

ثانيا: تحقيق التكامل البشري: إن بناء الإنسان، ومرافقته في سيره التكاملي كان وما زال هدف الأنبياء، والمرسلين، والأئمة، والصالحين على مدى العصور وهذا الهدف يتحقق من خلال التربية والأخلاق لما لها من دور في بناء شخصية الإنسان وهويته الواقعية، وعندما يدرك الإنسان أنه خليفة الله على الأرض، وأن مرجعه ومرده إليه سبحانه، فإن ذلك سوف ينعكس على سلوكه، وتصرفاته، ونظرته إلى الدنيا؛ فيراها دار ممر، ومنزلا لتحقيق تكامله في كافة الأبعاد الروحية والعقلية، والقلبية. وذلك في ظل الإيمان، والمعرفة، والعلم، والعمل والتسليم والانقطاع إلى الله تعالى فيلقاه يوم القيامة وقد أدى الأمانة التي حملها على أكمل وجه) .رحيميان ط1 2001 ص (22

ثالثا: العدالة الإنسانية: يعد تحقق ملكة العدالة في الفرد واستقرار القسط في النظام الاجتماعي هدفًا أساسا لإرسال الأنبياء (عليهم السلام)، وإنزال الكتب السماوية: (لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ(. (سورة الحديد الآية 25)

ومعنى العدالة أن يكون الإنسان في سلوكه، وحركته مستقيما على جادة الشرع. وقد اعتبرت التربية الإسلامية العدل والقسط هدفًا يستفاد منه للوصول إلى أهداف إنسانية أسمى، منها بقاء النوع الإنساني ورقيه الذي يضمن له الوصول إلى القرب الإلهي، وتحقيق خلافة الله سبحانه على الأرض(الحكيم ص 411)

وأما العدالة التي يسعى الإسلام إلى إقامتها في المجتمع الإنساني، فهي صورة من صور العدالة العامة في النظام التكويني. فكما أن العالم الكبير قد بني على أساس التوازن، كما في قوله تعالى: (وَالسَّمَاء رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ)(سورة الرحمن الآية 2) ، واعتبر العدل قوام هذا العالم، كما صرح بذلك الإمام علي عليه السلام عندما قال: (العدل أساس به قوام العالم)(المجلسي ط 4 ـ 1404ج 75 ص84) ، كذلك يجب أن يبنى العالم الصغير، الذي هو عالم المجتمعات البشرية. وبما أن نظام التشريع هو نظام إلهي، فهو أيضا قائم على العدل والتوازن (وأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ).(سورة الحديد الآية 25)

وهذا الترادف بين الكتاب والميزان في النظام التشريعي يكشف عن الصلة الحتمية بين هذا النظام وبين قانون العدل والتوازن من جهة، وبين تكامل الفرد والمجتمع من جهة أخرى، وبين الحياة الإسلامية والقرآنية، وقانون العدل والتوازن الاجتماعي والاقتصادي من جهة ثالثة (حكيمي ط1 ـ 2000 ص 170) ، وقد حفلت الآيات القرآنية بالحديث عن العدل، والقسط، والإحسان؛ بهدف ترسيخ مفهوم العدالة، وضمان تطبيقه في حياة الإنسان المستخلف على الأرض. وجاء في الأحاديث أن أعظم رسالة يقوم بها الإمام الحجة، إنما هي إقامة القسط العدل، والقضاء على الظلم والجور(بابوية ص 82).

وبذلك تستعد المجتمعات البشرية لقبول الإيمان، والصلاح والتقوى، والأخلاق الفاضلة التي ترقى بها إلى أعلى مراتب الكمال. لذلك نلاحظ أن الشريعة الإسلامية قد أعطت التعليمات الشاملة لكل نواحي الحياة لإقرار توازن سليم، وعدالة فردية، واجتماعية شاملة.

المبحث الثالث: الأبعاد التربوية لوظائف المستَخلَف ومسؤولياته:

الله تعالى بوصفه الفاعل الحكيم زود القابل الإنسان بمجموعة من المميزات والخصائص والقابليات، ووضع له منهجا متكاملا، ظهرت معالمه على يد الأنبياء والرسل والأوصياء (عليهم السلام)؛ بما جاؤوا به من معارف وحقائق نورانية ترشد سلوك الإنسان على الصراط القويم، وتلقي على عاتقه تكاليف ومسؤوليات لها آثارها التربوية في إيصاله نحو الكمال؛ ليتمكن بذلك من تحقيق الخلافة على الأرض.

المطلب الأول: وظائف المستخلف تجاه عناصر الخلافة:

تعد المعرفة التوحيدية المحور الأساس لحركة الإنسان نحو التكامل؛ حيث تم التركيز على هذه المعرفة في الفكر الإسلامي، ودعت النصوص الدينية إلى ضرورة تمثلها في السلوك الإنساني؛ نظرا لآثارها الوجودية في إيصال المعتقد بها قولا وعملاً نحو الكمال وتحقيق الوعد بالاستخلاف، والمقصود من المعرفة التوحيدية هو الإيمان بالله الواحد الأحد، والتأكيد على ضرورة انعكاس هذه المعرفة على السلوك. ولهذه المعرفة التوحيدية مراتب، هي(بابوية ص 131)

- التوحيد الذاتي: وتعني الإيمان بأن الله تعالى واحد لا شريك له ولا نظير ولا مثيل، فهو سبحانه واحد الأحدية والواحدية: هو واحد، أحدي الذات، بائن من خلقه.
- التوحيد الصفاتي ويراد به الاعتقاد بأن صفات الحق سبحانه، مثل: الحياة، والعلم، والقدرة.... هي عين ذاته تعالى، وليست زائدة أو عارضة.
- التوحيد الأفعالي ويُراد به أن عالم الخلق منظم ومبني على الأسباب والمسببات.

كما تعد مجاهدة النفس من أهم الوظائف والمسؤوليات الملقاة على عاتق الإنسان المستخلف تجاه نفسه؛ تمهيداً لتهيئتها لاستحقاق الخلافة الإلهية في الأرض. وقد أكدت النصوص الدينية على أهمية هذه الوظيفة وخطرها؛ حتى عدها الرسول الأكرم ﷺ جهادا أكبرا مقايسة مع الجهاد الأصغر؛ وهو الجهاد العسكري ومقاتلة العدو الخارجي؛ فعن الإمام

الصادق عليه السلام: (إن النبي ﷺ له بعث بسرية، فلما رجعوا قال ﷺ: مرحبا بقوم قضوا الجهاد الأصغر وبقي [عليهم] الجهاد الأكبر. قيل: يا رسول الله ﷺ وما الجهاد الأكبر؟ قال ﷺ: جهاد النفس)(الكليني ط1363،5 ج5 ح 3 ص12) . ولعل وجه هذا التفضيل: أن جهاد النفس يكون مستمرا من بدء البلوغ وفعلية التكليف إلى آخر عمر الإنسان، أو أن العدو في جهاد النفس هو الشيطان.

وقد وضع الإسلام خطوات عديدة في طريق مجاهدة النفس، ذكرت في الأحاديث الشريفة؛ فقد ورد عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: «إن الله عز وجل خص رسله بمكارم الأخلاق، فامتحنوا أنفسكم، فإن كانت فيكم؛ فاحمدوا الله واعلموا أن ذلك من خير، وإن لا تكن فيكم؛ فاسألوا الله وارغبوا إليه فيها، قال فذكرها عشرة اليقين، والقناعة، والصبر، والشكر، والحلم، وحسن الخلق والسخاء والغيرة، والشجاعة، والمروة)(الكليني ج2 ص 56)

لا بد أن يدرك الإنسان أن كل ما عنده، وما تحت تصرفه سواء أكان جسما، أم بدنا، أم نفسا، أم روحا... هو أمانة إلهية يجب التعامل معها كما يتعامل الأمين مع الوديعة، فلا يحق له التصرف فيها بإهمال أو تقصير، إنما عليه أن يتصرف وفق الأوامر الإلهية التي وجهت إليه. قال تعالى: (إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولًا) (سورة الإسراء الآية 26).

وأروع ما يذكر في هذا المجال، ما ورد عن الإمام زين العابدين عليه السلام في رسالة الحقوق، حيث يقول: (وأما حق نفسك عليك، فأن تستوفيها في طاعة الله فتؤدي إلى لسانك حقه، وإلى سمعك حقه، وإلى بصرك حقه، وإلى يدك حقها، وإلى رجلك حقها، وإلى بطنك حقه، وإلى فرجك حقه، وتستعين بالله على ذلك)(القابنجي ط3. 1991 ج1 ص 67) . فالإمام الله يتدرج في عرض الأمور، التقريب الفكرة، فيعتبر أن المدخل إلى تأدية حق النفس هو طاعة الله عز وجل التي تمر عبر الجوارح؛ فهي محل الاحتكاك بالمجتمع، وبوابة العبور إلى الطاعة.(نعيم قاسم ط1 ـ 2003 ص 17)

بما أن العلاقة المعنوية أو الاجتماعية التي تربط الإنسان بأخيه الإنسان تعد إحدى الركائز الأساسية في نظرية الاستخلاف فلا بد من التعرف إلى طبيعة هذه العلاقة، وما تتضمن من أبعاد تربوية تضيء مسيرة الإنسان، وتسهم في وصوله إلى الهدف المنشود(القابنجي ص 223).

من المعلوم أن الإنسان مفطور على حب الكمال والخير والانتفاع بكل الإمكانيات المتاحة للوصول إلى أهدافه، لذا فمن الطبيعي أن تتحدد دوافعه وتصوراته في الحياة بحسب ما تمليه عليه الفطرة من استخدام الطبيعة لمصالحه، والانتفاع بكل ما حوله. من هنا، يتولد التفكير الاجتماعي عند أفراد النوع الإنساني باعتبار إمكان انتفاع كل واحد منهم بقدرات أخيه الإنسان، وطاقاته، فينشأ المجتمع الفطري القائم على التعاون وتبادل الخبرات والإمكانيات. ومع استمرار الحياة البشرية تصبح القوة الفطرية، التي كانت توحي بالاجتماع والتعاون بين الناس، سببا في إثارة النزاع والصراع، فيصرف الإنسان إمكاناته التي يمتاز بها على الأفراد الآخرين في سبيل

تحقيق مصالحه الخاصة. لكن هذه الفطرة التي تملي على الإنسان دوافعه الذاتية تزوده في الوقت نفسه بإمكانية الحل عن طريق الميل الطبيعي إلى التدين، وتحكيم الدين في الحياة بالشكل الذي يوفق بين دوافع الإنسان الذاتية والمصالح العامة للمجتمع(محمد باقر الصدر ط20 ـ 1987 ص 357) . وبذلك يصبح الدين سنة من سنن التاريخ، وهذا هو دين الفطرة: (فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا)(سورة الروم الآية 30) ، الذي يُشعر الإنسان بالاستخلاف والاستئمان، ويوجهه نحو العلاقة الاجتماعية الإلهية، مقابل العلاقة الأخرى التي يحكمها الهوى والطغيان ويكون الشيطان فيها عنصرا أساسيا

المطلب الثاني: النتائج التربوية للاستخلاف

بناء شخصية الفرد على أساس التوحيد: إن البناء الفكري والروحي للفرد على أساس عقيدة التوحيد، يوجه سلوك الإنسان ويرشده إلى المثل الأعلى، فيكدح نحو الله تعالى، كما تشير الآية الكريمة: (يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيه)(سورة الانشقاق الآية 6). هذا السير، والارتقاء، والتكامل يشعره بالمسؤولية، فيجسدها في كل كيانه، يتخلق بأخلاق الله يسمو بإنسانيته إلى حيث العلم المطلق، والقدوة المطلقة، والعدل المطلق، وإلى حيث الجود والرحمة والمغفرة وباختصار إلى حيث صفات الله عز وجل، ومن الآثار التربوية للتوحيد:

- تحقيق العبودية الله سبحانه، وتحرير النفس من الذل والخضوع.
- بناء شخصية متزنة واعية لأهدافها.
- الشعور بالأمن والاطمئنان.
- الثقة بالله تعالى والتسليم له سبحانه
- لا يرى إلا الله ولا يخاف سواه.

فالاستخلاف لا يتحقق إلا إذا تخلق الإنسان بأخلاق الله، التي ترفعه إلى أعلى درجات الكمال، وهذا بالطبع ينعكس على المجتمع، لأن الإنسان هو الأساس في الحياة الاجتماعية التي لا تتكامل إلا بتكامل أفرادها، قال تعالى: (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفُسِهِم)(سورة الرعد الآية 11)

بناء مجتمع الوحدة والأخوة: انطلاقا من الاعتقاد بوجود إله واحد لهذا الكون والإيمان به ربا حكيما، عظيما، وكريما، شرف الإنسان بخلافته على هذه الأرض، ليتحمل المسؤولية، ويصل من خلالها إلى دار المقر... وأن هذا الدور عام لا يوجد فيه تفضيل لشخص، أو لقوم، أو لفئة ولا تفوق لأحدهما على الآخر إلا بمعيار واحد يعتبر ملاكا للتفضيل والتكريم، هو التقوى والقرب إلى الله تعالى، فإن العلاقات الاجتماعية سوف تبنى على أساس العبودية لله سبحانه، وتحرير الإنسان من عبودية الأسماء التي تمثل ألوان الاستغلال، والجهل، والطاغوت (مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاء سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم)(سورة يوسف الآية 40) ، وبذلك يتم بناء مجتمع موحد قائم على أساس الأخوة بين الإنسان، وأخيه الإنسان مهما كان المركز الاجتماعي لهذا أو لذاك:

(إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ)(سورة الحجرات الآية 10) ، وفي الحديث عن رسول الله ﷺ (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى).(الهندي 1989 ج1 ص 149)

فالعلاقة تكون علاقة استخلاف وتفاعل بقدر ما يكون الشخص مؤديا لواجب الخلافة وليست علاقة سيادة أو مالكية، إن الاستخلاف الإلهي حدد معيار الخلافة بين الناس في المجتمع، من خلال طرحه لمبدأ التساوي الذي يؤدي إلى بث روح المحبة والأخوة والتضحية وغيرها من القيم التي ترقى بالإنسان إلى أعلى مراتب الكمال (محمد باقر الصدر ص 108)

تربية روح المسؤولية :لما كانت الخلافة تستتبع تحمل الإنسان المسؤولية الأمانة الإلهية، التي عرضت على السموات والأرض، والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها كما تصرح الآية المباركة: (إنا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا) (سورة الاحزاب الآية 72) ؛ فإن نجاح الإنسان في تحقيق هذه الخلافة، وتطبيق الأوامر الإلهية بشكل صحيح وكامل، يعمق شعوره بالمسؤولية فيسعى إلى إعمار الأرض من الوجهة الطبيعية والاجتماعية. والمسؤولية من جهة تعني الأرتباط والتقيد بتوجيهات الله عز وجل، ومن جهة أخرى تعني أن الإنسان كائن حر مختار، فبدون الحرية والاختيار لا معنى للمسؤولية من هنا يمكن أن نستنتج أن الخلافة الإلهية قد جعلت للإنسان الحر الذي يمكنه أن يصلح في الأرض أو يفسد فيها بإرادته واختياره حسب الطريق الذي يسلكه. (محمد باقر الصدر خلافة الإنسان 1979 ص 21)

خدمة المشروع الإلهي: إن شعور الإنسان بالمسؤولية نتيجة استخلافه على الأرض، ومده بمجموعة من المواصفات التي تؤهله لنيل هذا المقام العظيم الذي يوصله إلى الكمال والسعادة الدنيوية والأخروية، يجعله في سعي دائم لخدمة المشروع الإلهي بكل حيثياته، وتحمل العناء لتطبيقه على الأرض.... وذلك وجه (محمد باقر الصدر الاسلام يقود الحياة ص 109)

الخاتمة:

قد تكون الخلافة بمعناها العام نيابة عن الآخرين في أداء دور محدد ومشخص، ينتهي بانتهاء العمل، لكن للخلافة في القرآن الكريم معنى أشمل وأعمق؛ إذ إنها نيابة عن الحق سبحانه، وصورة تعكس جميع صفاته وكمالاته. فالاستخلاف الإلهي مبدأ قرآني مرتكز في الأساس على التوحيد، والعبودية الله سبحانه الذي خلق الإنسان بأكمل الصور وأتمها، وكرمه وشرفه بالخلافة وتحمل المسؤولية؛ ليكون عابدا له، وساعيا نحو الكمال.

إن دراسة هذا المبدأ وفهم أسسه ومنطلقاته، ترسم للإنسان مسار حياته؛ فيدرك أن له خالقا عليما حكيمًا رحيما، خلقه وكرمه بالعقل، وميزه بالعلم، ووهب له كل الإمكانيات وسخر كل ما في الكون لخدمته لتكون جميع هذه الخصوصيات سببا في وصوله إلى الكمال الذي خلق لأجله. كذلك يدرك الإنسان أن وجوده في هذا العالم فرصة استثنائية؛ منح فيها شرف الخلافة عن

الحق سبحانه؛ فالدنيا دار ممر، يجب أن يعيشها بمسؤولية، ويحمل المهمة العظيمة التي أوكلت إليه من ربه، وهي مهمة الاستخلاف التي تشمل كل ما يتعلق بحياة الإنسان ونشاطاته على الأرض.

أولا: النتائج:

1. تم التركيز على عناصر الخلافة؛ لأن الإنسان من خلال معرفته بهذه العناصر، وتحديد طبيعة العلاقة معها يتمكن من القيام بمهمة الاستخلاف كما أراد الله سبحانه المستخلف والعنصر الأساس المقوم لعملية الاستخلاف.
2. وإن من لطف الله ورحمته بعباده أنه بين لهم المنهج، ووجههم نحو الهدف من خلال إرسال الأنبياء والرسل الذين بعثوا لهدايتهم وتربيتهم تربية إلهية توصلهم إلى الكمال المنشود.
3. تقوم فكرة التاريخ في القرآن الكريم على أن للتاريخ معنى أخلاقياً وروحيا مؤسسا على علاقة الألوهية بالعالم، وأثر الإنسان في ذلك؛ بوصفه خليفة الله سبحانه في الأرض
4. فالإنسان مخلوق ابتداء ليستخلف في الأرض، وهو مستخلف فيها ليحقق منهج الله تعالى في صورته الواقعية، وهو أثر عظيم يعطي الإنسان مركزا متميزا في نظام الكون كله، ويمنحه قدرة هائلة للعمل والفاعلية والتأثير، وكل ذلك يتم في توازن تام مع الاعتقاد المطلق بالمشيئة الإلهية، وتفردها بالفاعلية الحقيقية في هذا الوجود
5. بظهور الإسلام تحدد مفهوم جديد للمجتمع الإنساني، يرتكز على العقيدة الروحية، قبل أي اعتبار آخر، فهو مجتمع مفتوح يقوم على الأخوة، ويدعو جميع البشر إلى الانتظام فيه، على أساس من المساواة الشاملة، وهي رسالة تقتضي الصبر والإيمان والعمل الجاد والإرادة القوية.
6. أن الإنسان المستخلف في الأرض هو اللبنة المهمة في بناء الحضارة الإنسانية؛ لأنه يمتلك القوى المادية، فضلاً عن العقل الذي يكبح به جماح النفس.
7. يعد الإسلام الطابع الإنساني - الذي تتضافر على تكوينه عوامل ويحد من إفسادها ، ويوجهها نحو إعمار الأرض ، وبناء الحضارة عليها روحية ومعنوية هو المميز للحضارة الإنسانية ، ومن ثم تكون تلك العوامل الروحية أساسها ، والعوامل المعنوية محركها.

ثانيا: التوصيات:

يقترح الباحث مجموعة من الموضوعات التي قد تكون مجالاً للبحث والدراسة للباحثين الذين يأتون من بعده، وهي:

- الاستخلاف الإلهي للإنسان، وأثره على القيم الاجتماعية.
- مناهج الإسلام التشريعية في ضوء الاستخلاف الإلهي للإنسان في الأرض.
- دراسة تحليلية تاريخية لطبيعة التفكير الإنساني في ضوء الاستخلاف الإلهي للإنسان في الأرض.
- تطور المفاهيم الإنسانية في ضوء تاريخ استخلاف الإنسان في الأرض

قائمة المراجع:

أولا: القرآن الكريم
ثانيا: الكتب العربية:
1. أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري، معجم تهذيب اللغة، تحقيق: رياض زكي قاسم، ط1، بيروت، 2001.
2. أبو نصر إسماعيل ن حماد الجوهري الفارابي، تابع اللغة وصحاح العربية المسمي الصحاح، حاشية عبد الله بن بري بن عبد الجبار المقدسي، ط4، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 2005.
3. أحمد رضا، معجم متن اللغة، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1958.
4. الإمام زين العابدين، رسالة الحقوق، شرح حسن السيد علي القابنجي، فهرسة: د. يوسف البقاعي، ط3، دار الأضواء، بيروت، 1991.
5. المنظمة العربية للتربية والثقافة المعاصرة، الفكر التربوي العربي الإسلامي (الأصول والمبادئ، تونس، 1987.
6. أبو الحسن الرماني، تفسير أبي الحسن الرماني، تحقيق: خضر محمد نبها، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2009.
7. محمد تقي رهبر، محمد حسن رحيميان، التربية والأخلاق في الإسلام، ط1، جمعية المعارف الإسلامية الثقافية، بيروت، 2001.
8. عبد المنعم الحفني، معجم المصطلحات الصوفية، ط2، دار السيرة، الأردن، 1987.
9. علي المتقي حسام الدين الهندي، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1989، ج1.
10. فرح موسي، الإنسان والحضارة في القرآن الكريم بين العالمية والعولمة، ط1، دار اهادي، بيروت، 2003.
11. محمد باقر الحكيم، المجتمع الإنساني في القرآن الكريم، مراجعة: سعد زغلول، ط1، مؤسسة التاريخ العربي، دار كميل، بيروت، 2004.
12. محمد باقر الصدر، اقتصادنا، ط20، دار التعارف، بيروت، 1987.
13. محمد باقر الصدر، الإسلام يقود الحياة، دار التعارف، بيروت.
14. محمد باقر الصدر، المدرسة القرآنية، ط2، مركز الأبحاث والدراسات التخصصية للشهيد الصدر، قم المقدسة، 1424.
15. محمد باقر الصدر، خلافة الإنسان وشهادة الأنبياء، دار التعارف، بيروت، 1979.
16. محمد باقر المجلسي، بحار الأنور، ط4، مؤسسة الوفاء، بيروت، 1404.
17. محمد بن علي ابن بابوية، التوحيد، تصحيح وتعليق السيد هاشم الحسيني الطهراني، مؤسسة النشر الإسلامي، قم المقدسة.
18. محمد بن مكارم الأنصاري، لسان العرب، ط2، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، 1992.
19. محمد بن يعقوب الكليني، الكافي، ط5، دار الكتب الإسلامية، طهران، 1363.
20. محمد تقي مصباح اليزدي، النظرة القرآنية للمجتمع والتأريخ، ط1، دار الروضة، بيروت، 1996.
21. محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ط1، مؤسسة الأعلمي، بيروت، 1997.
22. محمد حسين فضل الله، من وحي القرآن، ط2، دار الملاك، بيروت، 1992.
23. محمد رضا حكيمي، محمد علي، القسط والعدل (قضايا إسلامية معاصرة، ط1، دار الهادي، بيروت، 2000.
24. محمد عمر بن حسين القرشي الرازي، التفسير الكبير، ط2، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1997، ج1.
25. محمود البستاني، دراسات فنية في قصص القرآن، ط1، مجمع البحوث الإسلامية، 1408.
26. ناصر مكارم الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ط1، مؤسسة البعثة للطباعة والنشر، بيروت، 1992.
27. نعيم قاسم، حقوق الجوارح، ط1، دار الهادي، بيروت،

المصادر العربية باللغة الانكليزية

First: The Holy Qur'an
Second: Arabic Books:
.1Abu Mansur Muhammad ibn Ahmad al-Azhari, Mu'jam Tahdhib al-Lugha, edited by Riyad Zaki Qasim, 1st ed., Beirut, 2001.

.2Abu Nasr Ismail ibn Hammad al-Jawhari al-Farabi, The Continuation of the Language and the Correct Arabic Texts Called "Al-Sahah", commentary by Abdullah ibn Barri ibn Abd al-Jabbar al-Maqdisi, 4th ed., Dar Ihya' al-Turath al-Arabi, Beirut, 2005.
.3Ahmad Rida, Mu'jam Matn al-Lugha, Dar Maktabat al-Hayat, Beirut, 1958.
.4Imam Zayn al-Abidin, Risalat al-Huquq, commentary by Hasan al-Sayyid Ali al-Qabanji, indexed by: Dr. Yusuf al-Baqa'i, 3rd ed., Dar al-Adwaa, Beirut, 1991.
.5The Arab Organization for Contemporary Education and Culture, Arab-Islamic Educational Thought (Principles and Principles), Tunis, 1987.
.6Abu al-Hasan al-Rumani, Tafsir Abu al-Hasan al-Rumani, edited by Khader Muhammad Nabha, 1st ed., Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, Beirut, 2009.
.7Muhammad Taqi Rahbar, Muhammad Hasan Rahimian, Education and Ethics in Islam, 1st ed., Islamic Cultural Knowledge Association, Beirut, 2001.
.8Abd al-Mun'im al-Hafni, Dictionary of Sufi Terms, 2nd ed., Dar al-Seerah, Jordan, 1987.
.9Ali al-Muttaqi Hussam al-Din al-Hindi, Kanz al-Ummal fi Sunan al-Aqwal wa al-Af'al, al-Risala Foundation, Beirut, 1989, vol. 1.
.10Farah Musa, Man and Civilization in the Holy Qur'an between Universality and Globalization, 1st ed., Dar Ahadi, Beirut, 2003.
.11Muhammad Baqir al-Hakim, Human Society in The Holy Qur'an, revised by Sa'd Zaghloul, 1st ed., Arab History Foundation, Dar Kamil, Beirut, 2004.
.12Muhammad Baqir al-Sadr, Our Economy, 20th ed., Dar al-Ta'aruf, Beirut, 1987.
.13Muhammad Baqir al-Sadr, Islam Leads Life, Dar al-Ta'aruf, Beirut.
.14Muhammad Baqir al-Sadr, The Qur'anic School, 2nd ed., Center for Specialized Research and Studies of Martyr al-Sadr, Qom, 1424.
.15Muhammad Baqir al-Sadr, The Caliphate of Man and the Witnessing of the Prophets, Dar al-Ta'aruf, Beirut, 1979.
.16Muhammad Baqir al-Majlisi, Bihar al-Anwar, 4th ed., Al-Wafa Foundation, Beirut, 1404.
.17Muhammad ibn Ali ibn Babawiyya, Monotheism, corrected and annotated by Sayyid Hashim al-Husayni al-Tehrani, Islamic Publishing Foundation, Qom.
.18Muhammad ibn Makarim al-Ansari, Lisan al-Arab, 2nd ed., Dar Ihya' al-Turath al-Arabi, Arab History Foundation, Beirut, 1992.
.19Muhammad ibn Ya'qub al-Kulayni, al-Kafi, 5th ed., Dar al-Kutub al-Islamiyyah, Tehran, 1363.
.20Muhammad Taqi Misbah al-Yazdi, The Qur'anic Perspective on Society and History, 1st ed., Dar al-Rawda, Beirut, 1996.
.21Muhammad Husayn al-Tabataba'i, al-Mizan fi Tafsir al-Quran, 1st ed., al-A'lami Foundation, Beirut, 1997.
.22Muhammad Husayn Fadlallah, Min Wahi al-Quran, 2nd ed., Dar al-Malak, Beirut, 1992.
.23Muhammad Rida Hakimi, Muhammad Ali, Justice and Justice (Contemporary Islamic Issues), 1st ed., Dar al-Hadi, Beirut, 2000.
.24Muhammad Umar ibn Husayn al-Qurashi al-Razi, al-Tafsir al-Kabir, 2nd ed., Dar Ihya' al-Turath al-Arabi, Beirut, 1997, vol. 1.
.25Mahmoud Al-Bustani, Technical Studies in the Stories of the Qur'an, 1st ed., Islamic Research Academy, 1408 AH.
.26Nasser Makarem Shirazi, The Ideal Interpretation of the Revealed Book of God, 1st ed., Al-Ba'tha Foundation for Printing and Publishing, Beirut, 1992.
.27Naim Qasim, The Rights of the Limbs, 1st ed., Dar Al-Hadi, Beirut

Succession and its Role in Human Integration: A Qur'anic Study

Mohammed Jassim Nassrullah
General Directorate of Education Diyala
Ministry of Education
Mohammed.jasim.iq@ec.edu.iq

Keywords: aliastikhlaf ،altakamul al'iinsaniu . alquran alkarim

Summary:

The research aimed to address the issue of divine succession of man on earth, as succession as a general concept includes every individual of the sons of Adam, provided that he is committed to the teachings of the successor (God Almighty). The research emphasized that God Almighty chose man over other creatures for the mission of His succession on earth because he is the only creature capable of developing the earth and reviving the rituals of God Almighty on it at the same time, because he possesses a mind and possesses freedom of will. The research relied on the descriptive analytical method and the logical deductive method in order to reach a set of results, the most important of which are: that man was created initially to be a successor on earth, and he is a successor on it to achieve the method of God Almighty in its real form, which is a great effect that gives man a distinguished position in the system of the entire universe, and grants him a tremendous ability to work, be effective and influence, and all of this is done in complete balance with the absolute belief in the divine will, and its uniqueness in true effectiveness in this existence.